بسم الله الرحمن الرحيم

إجابة سؤلات في القضاء والقدر

سؤال من أخيكم الصغير وآمل أن تساعدوني في هذا الاشكال. هل الهداية من العبد أم من الله؟ هل ربنا أوجد القابلية للهداية والضلال في كل إنسان،وهذا الإنسان بمحض إرادته يختار السبيل دون تدخل من الله؟ أم أن الإنسان ليس له أي قرار في الهداية والضلال ولكن الامر كله بتقدير من الله؟ وبارك الله فيكم.

أبو مارية القرشي: وعليكم السلام و رحمة الله و بركاته، زادكم الله اخي الكريم تواضعا و علما.
وابتدا بهذه المقدمة ان شاء الله، فاقول:
اعلم اخي الحبيب:
ان الله لا يظلم احدا "وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ" ال عمران (١٨٢)
واعلم ان الله قد امرك و نهاك و وعدك بالثواب وتوعدك بالعقاب، هداك سبيل الرشاد بارساله الرسل وانزال الكتاب، فان لم تفهم امور القدر و صعبت عليك فلا يصعب عليك ان تعلم ان الله هو احكم الحاكمين و انه هو الغفور الرحيم وانه قد احاط بكل شئ علما"أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"الملك (١٤) وانه خلق العباد وما يعملون" وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ"الصافات (٩٦) انه لا يرضى لعباده الكفر بل يحب لهم الايمان و الطاعة، وان القدر شانه عظيم وهو من امر رب العالمين فاشتغل بما امرك الله و الزم طاعته فان اصابتك مصيبة فاصبر و احتسب و اعلم انها من قدر الله الذي لا يرد، وان خرجت للجهاد فكر على عدو الله و اعلم ان اجلك مكتوب فلا تخش الموت، وان اصابتك فتنة فسارع بالتوبة واستغفر ولا تحتج بالقدر على ذاك، فان الله امرك بالتوبة واخبرك ان يحب التوابين.
ذكر لك في كتابه موازين الاخرة فقال"وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ" الانبياء(٤٧)
فلا يصدنك الشيطان عن جنات النعيم بوساوسه!

اما علمت علم اليقين ان كتاب الله يصدق بعضه بعضا؟
بلى و الله قد علمت. فان تشابهت عليك بعض الايات فالزم اخي الحبيب المحكمات .
فنم و انت قرير العين فليس هناك ثمة اشكال. فاذا علمت هذا و اصلت معك بذكر درجات الايمان بالقدر ومراتبه،ولعلي اسمع منك.
والله الموفق.

السائل: المشكلة تقع عند مناقشة بعض الاشخاص في القضاء والقدر وخصوصاً أمر الهداية والضلال. فنجد البعض يقول لو شاء الله لهداني،فالمرء يختار بماذا يجيب، فاذا قلنا له انت تختار الهداية والضلال نجد قول ربنا (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ) (٨ فاطر) واذا قلنا ان الله يختار للعبد الهداية والضلال ،والعبد ما كان ليختار، فهذا يتناقض مع علمنا أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم الناس شيئا ونتذكر قول الله تعالى (إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) (الزمر ٤١) فما هو الفهم السليم لهذه الايات؟وهل توجد قرائن تساعدنا في الفهم الصحيح؟

أبو مارية القرشي: اخي الحبيب ان اذنت لي ارجأت الجواب عن اسئلتك حتى نتهي من بيان درجات القدر ومراتبه على مذهب اهل السنة و الجماعة ثم اتبع ذلك بالكلام على الايات التي ذكرتها اخي الفاضل.
اعلم اخي الحبيب بارك الله فيك اننا اهل السنة و الجماعة نؤمن بالقدر على درجتين لكل درجة مرتبتان (راجع الواسطية):
الدرجة الاولى:
١-المرتبة الاولى :
العلم:
وهو الايمان بأنّ الله تعالى عليم بما الخلق عاملون، بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبدا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال.

"وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" الانعام (٥٩)

"إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" لقمان (٣٤)

إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا طه(٩٨)

"لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا"الطلاق (١٢)

ولم ينكر هذه الدرجة الا غلاة القدرية وهم كفار، ظهوروا اول ما ظهروا ايام ابن عمر رضي الله عنهم فكفرهم.

ويطرح بعض الاغبياء هذا السؤال و يقولون اذا علم الله حال الخلق فلم خلقهم؟

فهؤلاء القوم ما قدروا الله حق قدره، يلومونه عز وجل على علمه المحيط بكل شئ فكانهم يريدون من الخالق عز وجل ان يكون جاهلا كي يكون عادلا تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

فالعلم لا علاقة له باجبار الانسان على فعله، و نضرب على ذلك مثالا بسيطا و لله المثل الاعلى وهو لو ان استاذا يعرف تلاميذه حق المعرفة فقال في نفسه لو لبعض طلبته فلان سيرسب في الامتحان، فدخل الولد الامتحان و رسب.

هل اجبر الاستاذ التلميذ على الرسوب؟

هل كان من الاولى للاستاذ منع الطالب من دخول الامتحان؟

اما الله فشانه اعظم و اعلى، فما علمه فلا بد من وقوعه كما علم عز وجل.

ونختم هذه المرتبة بقول ابي العز الحنفي رحمه الله:

هذا بناء على ما تقدم من أن الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات ، وأنه قدر مقاديرها قبل خلقها ،كما قال صلى الله عليه وسلم : قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء . فيعلم أن الله قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها ، على ما اقتضته حكمته البالغة [فكانت كما علم] . فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها . قال تعالى "الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" . وأنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالماً في الأزل ، وقالوا : إن الله تعالى لا يعلم

أفعال العباد [حتى يفعلوا] ! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : ناظروا القدرية بالعلم ، فإن أقروا به خصموا ، وإن أنكروا كفروا . فإن الله [تعالى] يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيثيبه ، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه ، فإنما يعذبه لأنه لا يفعل مع القدرة ، وقد علم الله ذلك منه ، ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطعه .

المصادر:

١-العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام
٢- القضاء و القدر: د.عبد الرحمن بن صالح المحمود
٣-شرح الطحاوية لابن ابي العز.

وأواصل ببيان بقية الدرجات و المراتب لاحقا بعد ان اسمع منك ان شاء المولى عز وجل

السائل: أخي العزيز ١- هل يمكن أن نلخص الفكرة المركزية بهذه العبارة "علم الله سابق وليس بسائق" ؟ ٢- ما المقصود بتقدير المقادير؟ ٣- هل المقصود بالحكمة البالغة هي علم الله بالغيب؟ ٤- (فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها) لم أفهم هذه الجملة؟

أبو مارية القرشي:١- اخي الحبيب في ابواب العقيدة الافضل لنا الالتزام بالفاظ الكتاب و السنة والفاظ السلف رحمهم الله.

على العموم، علم الله بحال العباد لا يعني ان الله قد اجبرهم او ظلمهم حاشاه سبحانه.ولكن من علم الله منه ارادة الهدى زاده هدى((والذين اهتدوا زادهم هدى)) وياتي تفصيل هذا فيما بعد ان شاء الله. فالذي اراه عدم استعمال هذه العبارة و الله اعلم و احكم.

٢- ياتيك البيان ان شاء الله لما نتكلم عن المرتبة الثانية من الدرجة الاولى الا وهي الكتابة.

٣- اخي الحبيب لعلك تتامل في الجملة مرة اخرى فهي و اضحة ان شاء الله. والمراد ان الله عزيز حكيم، له حكمة في كل امر قضاه سبحانه. فنزول المطر في وقت ما له حكمة و الجدب و الجفاف في وقت اخر له حكمة، علو الكفار على المسلمين في زمن ما له حكمة.وهذه الحكم قد نعلم بعضها و قد تخفى علينا. فالكلام هنا اخي الحبيب على صفتي العلم و الحكمة.

٤- يعني ان المتامل في حال المخلوقات وما اودع الله فيها من حكم(بكسر الحاء و فتح الكاف) عجيبة ما زال العلم يكشف عن بعضها يوما بعد اخر، لا يمكن الا ان يقر بوجود خالق عليم ، قد علم حال خلقه و ما يحتاجون اليه قبل ان يوجدهم، مثلا الانسان اودع الله فيه قابليات و قدرات مختلفة لمواجهة الظروف المحتلفة على مر القرون وهذا لا يكون الا من خالق عليم جل جلاله. وقبل ان نواصل هل زال الاشكال عن هذه الاسئلة ام تريد مزيدا من التفصيل اخي الكريم.